خطورة الكلمة في الإسلام

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 5 شعبان 1434هـ الموافق لـ 14 جوان 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة، حديث عن:

خطورة الكلمة في الإسلام

إخوتي الكرام،

إن للكلمة أثرٌ بالغٌ في حياة الأفراد والمجتمعات، فبكلمةٍ يعتق الواحد نفسه من النّيران أي بكلمة التّوحيد، وبكلمةٍ قد يقع عليه سخط الله، ويولج نفسه النّيران وذلك بسبّ الدّين أو ربّ العالمين أو خاتم المرسلين عليه الصّلاة والسّلام.

قال تعالى:

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿25﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿26﴾ " سورة إبراهيم.

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: { (مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) هي شهادة لا إله إلا الله، (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهي المؤمن، (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) بقوله : لا إله إلا الله، (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يرفع بها عمل المؤمن إلى السّماء }.

وهي عبارةٌ عن المؤمن وقوله الطيّب وعمله الصّالح، وأنّ المؤمن كشجرة النّخل، لا يزال يُرفع له عملٌ صالحٌ في كلّ حينٍ ووقت صباح مساء.

والكلمة الخبيثة : هي كلمة الكفر والشّرك، وهي كشجرة الحنظلة.

(اجْتُثَّتْ) أي استؤصلت، (مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) لا أصل لها ولا ثبات ولا دوام، كالكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عملٌ.

الكلمة الطيّبة هي كل كلمةٍ فيها طاعةٌ لربّ العالمين، كالذّكر والنّصيحة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وتلاوة القرآن وشهادة الحقّ والفتوى الّتي تُرضي ربّ العالمين، وفيها إصلاحٌ بين المسلمين.

والكلمة الخبيثة كلّ كلمةٍ فيها دعوةٌ إلى فحش الكلام وسوء الأفعال، كالغناء وبذاءة اللّسان، والفتوى بما يرضي غير ربّ العالمين وإنّما لرعاية فلانٍ أو علاّنٍ، وكذلك الكلمة الّتي فيها غيبةٌ وافتراءٌ على النّاس والنّيْلِ من أعراضهم.

إنّ من صُوَرِ الكلمة الخبيثة سبّ الله تعالى أو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أو الدّين الإسلامي.

فمن سبّ الله سبحانه فقد كفر، نصّ على ذلك أهل العلم، قال ابن قدامة في المغني: { **فصلٌ: ومن سبّ الله تعالى، كفر سواء كان مازحًا أو جادًّا، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله وكتبه** }.

قال تعالى:

" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿65﴾ " سورة التّوبة.

واحدٌ يقول الشّريعة لا تصلح لهذا الزّمان.

" . . . قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿65﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ . . . ﴿66﴾ " سورة التّوبة.

وآخر يقول أنّ قطع يد السّارق ورجم الزّاني هذه همجيّة.

ومن صُوَرِ الكلمة الخبيثة الفتوى بغير علمٍ، وبما يرضي فلانٌ أو علاّنٌ على حساب شرع العزيز الحكيم.

قال تعالى:

" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿36﴾ " سورة الإسراء.

وقال ابن أبي ليلى: (**أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المسجد، فما كان منهم محدّثٌ إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الفتيا**).

ومن صُوَرِ الكلمة الخبيثة أنّ الإسلام لا يصلح لهذا الزّمان.

وربّنا عزّ وجلّ يقول:

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿9﴾ " سورة الإسراء.

ومن صُوَرِ الكلمة الخبيثة الخَوْضُ في أعراض النّاس، قال تعالى:

" لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿12﴾ " سورة النّور.

فالمؤمن يُدافع عن عرض أخيه المؤمن، والمؤمن بريءٌ حتّى تثبت التّهمة، وقال تعالى:

" . . . وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . . . ﴿12﴾ " سورة الحجرات.

ومن صُوَرِ الكلمة الخبيثة التّراشق بين التّيارات الإسلاميّة العاملة للإسلام على منابر العامّة، عِوَضَ أن يكون التّناصح بينهم دون أن يُشركوا العوام في خلافاتهم، حتّى لا يفتنوهم عن دينهم.

ومن صُوَرِ الكلمة الخبيثة الكلمة الخالية من الحياء الّتي فيها فُحْشٌ وبذاءة اللّسان، ثبت في صحيح أدب المفرد، قال عليه الصّلاة والسّلام: (**ليس المؤمن بالطّعان، ولا اللّعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**).

فما بال شبابنا في جملةٍ يتلفّظون بها، تسعين بالمائة منها فحش كلامٍ وبذاءة اللّسان.

هذه الصُّوَرُ للكلمة الخبيثة تهوي بصاحبها في نار جهنّم، وتوجب لصاحبها العذاب الأليم.

ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (**إنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجاتٍ، وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنّم**).

الكلمة الّتي فيها نصيحةٌ ترفع لك درجاتٍ، الكلمة الّتي فيها إصلاحٌ بين متخاصمَيْن ترفع لك درجاتٍ.

الكلمة الّتي فيها قول الحقّ والشّهادة بحقٍّ ترفع لك درجاتٍ.

الكلمة الّتي فيها ذكرٌ وقراءة قرآنٍ وتعليم علمٍ ترفع لك درجاتٍ.

وصُوَرُ الكلمة الخبيثة في فتوى بغير ما يُرضي الله أو بدون علمٍ، والكلمة الّتي فيها نميمةٌ أو غيبةٌ أو كلامٌ في أعراض النّاس، أو سبّ لله ولرسوله أو استهزاءٌ بالدّين، كلّها تهوي بصاحبها في نار جهنّم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

ليستعين الواحد منّا بالإخلاص عند الكلام، ولا يقول كلمةً إلاّ وهو يرجو ارضاء المولى تبارك وتعالى، فمن تمنّى ارضاء المولى عزّ وجلّ بكلامه، حرص على الصّدق، وحرص على أن يشهد شهادة الحقّ في أيّ موطنٍ ومكانٍ، وحرص على أن يفتي بما يُرضي المولى تبارك وتعالى، وحرص على أن يقول الحقّ ولو على نفسه.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين والفلسطينيّين، اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين والفلسطينيّين ،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.